سلسلة تفريغات شبكة بينونة

١

# حياتنا الأسرية

## الواقع والمأمول

## البيت النبوي

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم

تفريغًا للمحاضرة الأولى من

# الدورة العلمية

# "حياتنا الأسرية، الواقع والمأمول"

بعنوان

# "البيت النبوي"

لفضيلة الشيخ

د. محمد بن غالب العمري

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع

قام به فريق التفريغ

بشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنِ الْحَمْدَ للهَّ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُّ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُّ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كلام الله و خير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه و آله و سلم – و شر الأمور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.

أما بعد؛ فحياكم الله جميعًا وبياكم. هذه الدورة كما هو مُعلن عنها **"حياتنا الأسرية بين الواقع والمأمول"**، والكلام عن سبب اختيار هذا الموضوع ينتظم في أمور ثلاثة: –

**الأمر الأول**: فإن الكلام عن الحياة الأسرية ودراسة حياة رسول الله ﷺ هو تقويم لحياتنا، وتقييم لها كذلك، وإصلاح للخلل والزلل الذي يحصل في حياتنا الأسرية وفي مجتمعنا الصغير. إصلاح ذلك على وفق هدي رسول الله ﷺ وعلى وفق سنته ﷺ .

**الأمر الثاني**: أن في هذا الموضوع خاصة تذكرة للناسي وتعليم للجاهل وتنبيه للغافل، عن أمر من أهم الأمور وهي ما تنتظم فيه مسألة الحقوق والواجبات التي على أفراد الأسرة، وفيما يجب أن تكون عليه الأسرة في أفرادها من صلاح وإصلاح واستقامة.

**الأمر الثالث**: ما أقف عليه ويقف عليه غيري من المشاكل الأسرية والإشكالات والتي كثيرًا ما تؤذن بانهيار أسر وبتفككها وبضعف الروابط الأسرية، وبالتمزق الحاصل في الأسرة الواحدة.

**جعلت هذه الدورة على أربع مواضيع: -**

الموضوع الأول: والذي هو الأصل والأساس الذي نرجع إليه، هو دراسة للبيت النبوي، وما كان النبي ﷺ من معاملة لأهله، ومن معاملة أزواجه رضي الله عنهن له ﷺ.

الموضوع الثاني: هو مشاكلنا الأسرية، والحلول لتلك الإشكالات والأسباب التي تؤدي إلى هذه الإشكالات والنزاعات.

الموضوع الثالث: هو ما سيكون في الغد إن شاء الله – إذا أمد الله في الأعمار – فهو الكلام أولًا عن حقوق الأبناء في الإسلام، وما كفله لهم، ثم تُختم هذه الدورة – بإذن الله تعالى – في بيان حقوق الآباء، وما حصل من تقصير في التعامل مع الوالدين الآباء والأمهات.

موضوع اليوم: هو بيت رسول الله ﷺ وما كانت فيه من معاملات بين رسول الله وأزواجه، معاشر الأحبة: الله ﷻ جعل الأسرة هذا المجتمع الصغير الذي يأوي إليه فئة يسيرة من الناس، والذي أساسه وأصله الأبوان؛ الأب والأم يستقر فيه الأبوان مع الأولاد ويسكنا إليه، جعله الله ﷻ محل السكن وجعل في الأصل لهذا السكن محفوفًا بالرحمة وبالتآلف، وأمتنّ الله ﷻ على عباده بذلك، قال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: 21].

جعلها الله – جل وعلا– آية وبرهان على كريم فضله وإنعامه على عباده. فهي علاقة رحمة ومودة وتآلف وأساسها بين الزوجين الصحبة والتودد القائم على الأنس والمحبة.

النبي ﷺ وهو القدوة والأسوة؛ فحياته ﷺ وتعامله مع أزواجه حياة مليئة بالدروس والعبرّ وبالمواعظ والتذكير، لقد كان ﷺ هو الأسوة الحسنة والقدوة المثلى في التعامل مع جميع الناس ومن أولئكم الناس أهل بيته.

من تأمل في حياته ﷺ يجده الأب الحنون اللطيف، والزوج الصالح الكريم، يجد تواضعه ﷺ دون ضعف ويجد قوته ﷺ دون عنف.

استعراض حياة رسول الله مع أهله وزوجاته فيه العديد من العظات ولا يمكن أبدًا لمثل هذه العجالة والوقت المحدود أن نأتي على جميع سيرته ﷺ في ذلك.

لكن تيسيرًا للأمر وتسهيلًا له، جعلت ما يتعلق بالكلام عن تعامله ﷺ في مسائل، إذ أن سيرة رسول الله ﷺ بكلها؛ لاشك فيها الكثير من المنافع والفوائد بما لا يُدرك في مثل هذا المقام.

قبل البدء ببيان تعامله ﷺ مع أزواجه أوصى النبي ﷺ في جملة القول، أوصى بالنساء خيرًا. (فقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله»)[1] فيما رواه الترمذي وصححه الألباني.

هذه الخيرية التي أخبر بها النبي ﷺ لا تتعلق بجانب دون آخر، بل هي شاملة عامة بل هو خيرٌ لأهله ﷺ في جميع الجوانب، في حياتهم وعبادتهم وشرابهم وفي رفقه بهم، وفي تأديبه لهم ﷺ ، وفي رضاه وفي فرحه وحزنه، هو خيرٌ لهم في دينهم ودنياهم.

وأوصى ﷺ بحسن التعامل وحسن الأخلاق، فقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا؛

(1) رواه الترمذي برقم (3895) و صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (3895).

أحسنهم خلقًا، وخيارهم خيارهم لنسائهم »[1]. هذه وصيته ﷺ في جملة الأمر، ومن هنا يظهر ضعف هذا الجانب عند الكثير منا ممن يكون آخر اهتماماته أهل بيته.

ولاشك أن قوله ﷺ: «وخيركم خيركم لأهله»؛ أي: أن كل خير يبذله الإنسان فأحق الناس به أهل بيته من أزواجه وأبنائه، ونتأسف جدًا أن نجد أن من يستفيد من كثير من الأزواج هما المحيطون به من زملائه وأصحابه ومن جيرانه وأصدقائه، بينما هو أبعد الناس في ذلك عن أن يحسن إلى أهل بيته.

ذكرنا هذا في جانب الزوج؛ لأنه هو الأكثر ولاشك أيضًا أن للزوجة نصيب من ذلك، رسخ النبي ﷺ مبدأ الصبر بين الزوجين واحتمال بعضهما للبعض، والنظر في المحاسن وفي الصفات الجميلة، (فقال في حق المرأة: «لا يفرك -أي لا يبغض- مؤمن مؤمنة أن كره منها خلق رضي منها آخر»)[2].

وقال في حق الرجال موصيًا النساء: «رأيتكن أكثر أهل النار، وذلك أنكن تكفرن» قالوا: نكفر بالله؟ قال: «لا» قال: «تكفرن العشير؛ إذا أحسن إليها الدهر كله، تقول: والله ما رأيت منك خيرًا قط»[3].

---

(1) رواه الترمذي برقم (1162) و صححه الألباني في الصحيحة برقم (284).

(2) رواه مسلم برقم (1469).

(3) رواه البخاري برقم (304) .

ومن نظر في الحديثين فيتيقن تمامًا أنه لا يوجد من هو خالٍ من النقص، أين تلك المرأة التي لا تجد فيها نقص؟ وأين ذاك الزوج الكامل الذي لا يعتريه النقص، وكيف يحق للإنسان أن يطلب الكمال، وهو ناقص في حاله؟

لكن إذا تأمل الزوج وتأملت الزوجة جوانب الخيرية، وغض الطرف عن كثير من المساوئ والمسالب لسارت سفينة الأسرة المسلمة بسلام؛ بل أقول لتعطلت كثير من أقسام المحاكم المتخصصة في هذه المسائل، ولو قلّ المراجعون لها.

التأمل في حياة النبي ﷺ وأخذ الدروس والعبر أمر في غاية الأهمية، لو نظرنا في المسألة الأولى وهي في عمله ﷺ في بيته، عند البخاري من حديث الأسود قال: سألت عائشة –رضي الله عنها وأرضاها- ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ -نحن نقرأ الحديث لنقارن ونتأمل بين واقعه ﷺ وبين واقعنا- قالت: كان يكون في مهنة أهله( أي في خدمتهم)؛ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)[1].

جاء في رواية: (كان في مهنة أهله يحلب شاته ويخصف نعله)، وهذا لاشك دليلٌ على تواضعه ﷺمع أن الأعمال في ذاك الزمان ما كانت كثيرة، على العكس كانت قليلة جدًا، وما عاش الناس في كثرة الكماليات والتوسع، ومع ذلك كان ﷺ يقوم بهذا الأمر، وهو رسول الأمة عنده رسالة ﷺ، ودعوة إلى الله ﷻ ونشر-

(1) رواه البخاري برقم (676).

للدين ومعارك؛ ومع هذا كان في بيته ﷺهذا هديه.

فالبعد بين سعادتنا نحن في بيوتنا بقدر البعد عن سنة رسول الله ﷺوعن سيرته مع أهله، كان من فعله ﷺ أنه يداعب أهله، جاء من حديث جابر ومن حديث عقبة أن النبي ﷺ قال: «كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لغوٌ وسهوٌ ولعبٌ، إلا أربع»في رواية: («كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل؛ إلا رميه بقوسه وتأديبه لفرسه وملاعبته أهله؛ فأنهن حقٌّ»[1]. ومعنى أنه باطل؛ أي: ليس له أجر فيه إلا في هذه الأمور الثلاثة.

من مداعبته ﷺ لأهله أنه كان يسابقهم فقد جاء من حديث أبا سلمة عن عائشة –رضي الله عنها وأرضاها- أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت: فسابقته على رجليه، فلما حملت اللحم -أي: ثقلت- بعد ذلك، قالت: سابقته فسبقني. فقال ﷺ: «هذه بتلك». أي: هذه السبقة بتلك التي سبقتيني بها. الحديث عند النسائي وأبي داود، وصححه الألباني[2].

هذه الحادثة قد تكون في صورتها عادية، لكن لها أثر من إظهار المحبة والمودة والتودد، وهو أمر يدل على تواضع الرجل؛ لا على ضعفه، مع التنبيه أن النبي ﷺ سابق عائشة ليس بحضور الناس، إنما أمر القافلة أن تتقدم كما جاء في بعض

(1) رواه الترمذي برقم (1637) و صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (1673).

(2) رواه أبو داود برقم (2578) و صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (3251).

الروايات، ثم بعد ذلك سابقها.

كون الرجل يتواضع في بيته، ويحسن من تعامله ليس هذا من ضعفه، ولا هو من قلة تدبيره، ولذلك قال ابن عمر – رضي الله عنهما- قال: إنه ليعجبني الرجل يكون في أهله مثل الصبي، قال: ثم إذا بُغي منه – أي إذا أُحتيج إليه- وُجد رجلًا.

وكان زيد بن ثابت ﷺ من أفكه الناس في بيته، يعني: من أكثرهم ضحكًا، فإذا خرج كان رجلًا من الرجال، بعض الرجال -أصلحهم الله- ولابد أن يتحملني الرجال، ولكلٍ نصيب في القسمة إن شاء الله.

بعض الرجال يظن أن إظهار سوطته وجبروته وقوته وغلظته أن هذا علاج للمرأة، ويظن أن التخويف سبيل ناجح وطريق نافع، والحقيقة هو سيطرة نعم، لكنه سيطرة بالتخويف لا بالحب وبالمودة وبالرهبة لا بالتودد، فهي تخافه فتطيعه، لا تحبه فتطيعه.

لنتأمل هذه القصة التي ترويها عائشة –رضي الله عنها وأرضاها- فيما رواه عنها عروة بن الزبير أنها ( قالت رضي الله عنها: لقد رأيت رسول الله ﷺ يومًا على باب حجرتي، والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه انظر إلى لعبهم)[1]. – النبي ﷺ يسترها بردائه وهي تنظر إلى لعب الحبشة في المسجد-.

(1) رواه البخاري برقم (4938).

جاء في رواية أخرى قالت: (دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد، فقال لي: «يا حميراء» -وكان النبي ﷺ يدللها بذلك و كما يُقال: يدلعها- قال: «يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟» فقلت: نعم. قالت: فأقامني ورائه فطأطأ لي منكبيه؛ لأنظر إليهم. وفي رواية من بين أذنه وعاتقه وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة». فجعل يقول: «يا عائشة ما شبعتي» قالت: فأقول: لا. لأنظر منزلتي عنده. قالت: حتى شبعت)[1].

هذا الترفق منه ﷺ وهو سيد الخلق وإمام المتقين وأشجع الناس وأقوى الناس ﷺ، يدلنا أن هذا لا يكون فيه ضعف أبدًا. معاشر الأحبة: لا تخلو الأسرة من وجود منغصات ومشاكل ولكن ليس الحل البتر أو القطع كما يلجأ إليه المستعجلون، نعم القطع والبتر والفراق علاج يسير لكنه خطير ومدمر في كثير من الأحيان.

النبي ﷺ عالج بعض ما قد يحصل من إشكالات، جاء عن أنس فيما رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني، (قال: بلغ صفية -وهي صفية بنت حيي بن أخطب زوج رسول الله ﷺ- أن حفصة قالت عنها -أي: عن صفية-: بنت يهودي. فبكت صفية فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة: أني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: «إنك ابنة نبي وإن عمك

(1) رواه البخاري برقم (907) و مسلم برقم (892) .

لنبيٍ وإنك لتحت نبيٍ، ففيما تفخر عليك؟ »)[1].

وأراد بذلك النبي ﷺ نظرًا إلى جدها الأكبر وهو إسحاق وأن عمك لنبيٍ أراد به إسماعيل، وإنك لتحت نبيٍ وهو رسول الله ﷺ، يطيب خاطرها. وماذا قال لحفصة؟ -هذا الأمر لا يجوز- (فقال لها: «اتقي الله يا حفصة»). أنكر عليها ﷺ. وسيأتي معنا كثير من مثل هذه المواقف التي كان النبي ﷺ ولا شك يقدم أمر الشرع

الترفق بالأهل من حسن العشرة، والنبي ﷺ كان رفيقًا جاء عند أبي داود وصححه الألباني (عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعب تلعب بهن، فقال: «ما هذا يا عائشة؟ » قالت: بناتي. -هذا حال كثير من الأطفال الصغار البنات تأخذ ألعاب صغيرة وتقول: هذه بناتي- قالت: ورأى النبي ﷺ بينهن فرس له جناحان، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهم» قالت: فرس. وقال: «وما هذا الذي عليه؟ ». قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان». فقالت عائشة: أما سمعت أن لسليمان ﷺ خيلًا لها أجنحة. قالت: فضحك الرسول ﷺ حتى رأيت نواجذه من شدة الضحك)[2].

---

(1) رواه الترمذي برقم (3894) صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (6192) .

(2) رواه أبو داود برقم (4932) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (4932) .

هذا فيه حسن استماع لها والتحاور معها، والأخذ كما يُقال والعطاء، بل أنه ﷺ كان يتلطف حتى في أمر مأكله ومشربه، جاء عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ ليؤتى بالإناء فأشرب منه وأنا حائض، ثم يأخذه ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ، قالت: وإني كنت لأخذ العرق من اللحم – ثم يأخذه –عليه الصلاة والسلام– فيضع فاه على موضع فيّ[1]. و هذا من حسن تودده ﷺ وتعامله.

تأملوا فيما رواه النعمان بن بشير –رضي الله عنه وأرضاه– في تحمله ﷺ وصبره، (قال النعمان رضي الله عنه: أستأذن أبو بكر رضي الله عنه: على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عاليًا، فلما دخل تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فجعل النبي ﷺ يحجزه. –يمنعه حتى لا يضرب عائشة–.

وخرج أبو بكر مغضبًا مما رأى فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني؟ أنقذتك من الرجل». فمكث أبو بكر أيامًا ثم جاء إلى بيت رسول الله ﷺ واستأذن عليه فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال له النبي ﷺ: «قد فعلنا قد فعلنا»)[2].

فتحمله ﷺ هذا يعطينا دروسًا في شيءٍ من الصبر على شيءٍ من المودة، ولذلك النبي ﷺ من حسن معشره وعشرته لأزواجه ما كان ينسى خديجة رضي الله عنها و

---

(1) رواه مسلم برقم (300).

(2) رواه أبو داود برقم (4999).

هي قد ماتت- قالت له مرة عائشة: كأنه لم يكن امرأة في الدنيا إلا خديجة.

من كثرة ما سمعت من رسول الله ﷺ يثني على خديجة.

فكان النبي ﷺ دائمًا يقول: أنها كانت وكانت، بثني على خديجة، وكان لي منها الولد، ومر جاءت أختها هالة بنت خويلد، فاستأذنت من رسول الله ﷺ فذكرته بخديجة، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» وعائشة موجودة، يعني: يا رب تكون التي تستأذن هي هالة.

فقالت عائشة: ما تذكر من عجوز –تقصد خديجة- من عجائز قريش أبدلك الله خيرًا منها، فقال النبي ﷺ: «ما أبدلني الله خيرًا منها، إنها آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذا منعني الناس، ورزقني الله منها الولد»)[1]. فهذا الوفاء منه ﷺ لزوجته حتى بعد ذهابها وبعد موتها –رضي الله عنها وأرضاها-.

من حسن معاملته ﷺ المشي مع زوجاته ليلًا، والسهر معهم أحيانًا، جاء في حديث علي بن الحسين فيما أخرجه البخاري أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، قال: فتحدثت عنده ساعة.

ثم قامت تنقلب أي: ترجع إلى بيتها. فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا

(1) رواه البخاري برقم (3821) و مسلم برقم (4594).

بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مرّ رجلان من الأنصار فسلم على رسول الله ﷺ، فقال لهما: «على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي». فقال: سبحان الله يا رسول الله وكَبر عليهما هذا القول أي: من رسول الله، وهل يشك أحدًا في رسول الله ﷺ؟ فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وأني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئاً»)[1].

وجاء عند البخاري أن النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها. هنا رسالة للزوج الغائب عن أهله، والذي لا يعرفون له لقاء ولا رؤية؛ بسبب كثرة خروجه وانشغاله، لاشك أن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة المثلى.

و رسالة أخرى هي رسالة إلى صديق الزوج كن خير عون لصديقك، لماذا؟ لأن هذا الزوج عليه حقوق يجب أن يؤديها لأهله، ولتكن خفيف الظل عليه، يشتاق إليك بالبعد، ولا يملّك بالقرب، بعض الأصدقاء يشغل وقته أو يشغل وقت غيره بفراغه هو، الواجب أن ينظر قبل أن يتصل أو يزور، أن هذا له أسرة وله عائلة، وليس معنى هذا انقطاع الزيارات أو المنع، لكن لا يكون ديدن الإنسان ذلك.

كذلك هي رسالة إلى صديقة الزوجة من حرصها على صديقتها ومن إعانتها

---

(1) رواه البخاري برقم (1930) و مسلم برقم (2175) .

لها، أن تكون عونًا لها في برّها بزوجها. فتترك عنها الساعات الطويلة في المحادثات وفي ضياع الأوقات، فكم من اتصال كان سببا لانقطاع؟! ، وكم من تواصل كان سببا لتدمير؟! ، فتنظر في هذا الأمر فإن كانت في فراغ من العمل؛ لا تشغل وقت الآخرين.

لا نجعل يا معاشر الأحبة –وهذا سيأتي الكلام عليه-: لا نجعل وسائل التواصل هذه وسائل تقاطع، فالزوج عليه واجبات والزوجة عليها واجبات وينبغي أن يؤدي كل واحد

منهما ما أُفترض عليه.

من حسن معاملته ﷺ قربه من زوجاته، حتى كان يتكأ على زوجته ويتودد لها ببعض أفعاله كما جاء عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يتكأ في حجري وأنا حائض)[1]. رواه مسلم وهذا مع ما فيه من تودد وأيضًا فيه مخالفة لليهود الذين كانوا لا يقربون الحائض.

ومن ذلك أن النبي ﷺكان يجعل أزواجه يمشطون شعره، ويرجلونه كما جاء في حديث عائشة عند مسلم، قالت: ليدخل عليّ رسول الله ﷺ وهو في المسجد فأرجله، وكان بيت عائشة مطل على المسجد، فيخرج النبي ﷺ وكان

(1) رواه البخاري برقم (298) و مسلم برقم (301).

يدخل رأسه فتمشط شعره ﷺ)[1].

هذا فيه تأمل للنسوة في هذا الخلق الكريم من عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– ومن تحببها لرسول الله ﷺ من خدمتها ومن قربها أيضًا من زوجها ومن عنايتها بتفاصيل حاجياتها، وأن هذا لا ينقص من كرامتها ولا يقلل من شخصيتها ولا يكون سببًا أبدا في تسلطه عليها، كما قد يظن البعض.

سمعت مرة أو قرأت في إحدىٰ المجموعات ينقلون كلام ناصحة زعموا، وهي كلام مفرقة للأسر وهي تقول: لا تخضعي للزوج بشيء ولا تظهري المحبة؛ فإن هذا سيجعله يتسلط عليك. وهذه من النصائح العجيبة التي لا شك أن المقصود منها هدم الأسر وتفرقها.

وهذا فيه أيضًا بيان، أي في فعل عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– أن المرأة لا تجعل أبدًا غيرها يهتم بزوجها، فهذا دورك يا أمة الله، أنت ستره وغطاه، وأقرب الناس إليه؛ فلا تُوكل في ذلك الخادمات، ولا غير ذلك ولا الأبناء ولا البنات، فهذا محلك ومكانك.

تودد المرأة لزوجها تقربها إليه، هو سبب عند كرام الرجال لاحترامها وتقديرها، ولا يُفهم من ذلك أبدًا الإذلال أو التنقص، والحياة الأسرية حياة ميثاق من التودد والمحبة وعنوان للتواضع والألفة، والزوجة متىٰ عرفت دورها

(1) رواه البخاري برقم (2028) و مسلم برقم (297).

والزوج متى عرف دوره كذلك، استقامت هذه الحياة الأسرية وبذل الجميع في ذلك الغالي والنفيس.

وليس من الصواب أبدًا أن تُقارن المرأة نفسها بغيرها أو تستمع للنصائح التي تحرضها على بيتها، لاشك هذا يدمر البيوت. ولاسيما تلك النصائح التي تخالف الشرع؛ فهو هدم بعد بناء وإفساد بعد إصلاح وتدمير بعد تعمير.

كان من تعامله ﷺ مع أزواجه أحيانًا الثناء عليها، فقال ﷺ عن عائشة: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1] فيما رواه مسلم.

وعندما سئل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة»، قال: من الرجال؟ قال: «أبوها». وكان ﷺ يعلن حبه لزوجاته كما قال ﷺ فيما رواه مسلم عن خديجة: «أني رُزقت حبها»[2].

وكان يسر ﷺ إذا اجتمعت عائشة بصويحباتها فقالت عائشة كانت تأتيني صواحبي، فكن ينقمعن عن رسول الله ﷺ يعني: يتغيبن عنه، -يهبنه ﷺ- فكان يسر بهن ويرسلهن إليه.

كان من حسن تعامله وهذا هدي نبوي وفعله ﷺ أنه يقبل زوجاته ولو كان صائمًا، بل كان يعرف مشاعر أهله، وهذا دليل على قربه منها فيقول النبي ﷺ

---

(1) رواه البخاري برقم (3411) و مسلم برقم (2431).

(2) رواه مسلم برقم (2435) .

لعائشة: «أني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عني غضبى، أما إذا كنتِ عني راضية فإنك تقولين ورب محمد، وإذا كانت غضبى قلت ورب إبراهيم»[1].

ولا تذكر اسم الرسول ﷺ.

فعدم إحساس الزوجين بعضهما البعض لاشك أن هذا من المؤثرات في حصول ما يُسمى عند البعض بالجفاف العاطفي، سببه عدم التودد لا اللفظي ولا الفعلي ولا شيء من ذلك. فيبدأ الفتور يدب في الأسرة المسلمة حتى يؤدي ربما في بعض الأحيان إلى الفراق وإلى الطلاق وإلى التمزق، فعلاج الأمر في أوله هذا في غاية الأهمية، وعدم المبالاة لاشك أن هذا وباء وبلاء. المرأة لا تبالي بزوجها والرجل لا يبالي بزوجه، وهذا من سوء العشرة.

ثم أيضًا التوقعات، من المسائل التي وقفت عليها أن البعض يقول أتخاصم مع زوجتي في مسائل فأقول لها أنا توقعت أنك تفعلي كذا وما فعلتي، وتقول: أنا توقعت أنك ستفعل كذا وما فعلته. ما هذه التوقعات؟ أخبرها بملء فيك عن حاجتك لشيء دون أن تحتاج. هي لا تعلم الغيب وأنت لا تعلم الغيب، أخبرها بحاجتك وأعطها أمرك فيما تريد، أما أن تحاسبها على شيء هو في عالم الغيب لا يُدرك، قضية التوقعات والحاجة إلى طلبات لم تُذكر، هذا لاشك أنه من التكليف بما لا يُستطاع.

---

(1) رواه البخاري برقم (5228) و مسلم برقم (2439) .

كان من هديه ﷺ أنه يتطيب في كل حال، كما جاء في حديث عائشة: كأني انظر إلى وبيص المسك في مفرق رسول الله ﷺ، وهو محرم. كان من هديه ﷺ أنه لا يضرب النساء. تقول عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له قطٍ. بل قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله»[1] فيما رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وكان ﷺ يواسيها، يواسي زوجاته إذا بكين مثلًا جاء عند النسائي بسند جيد، قصة لطيفة فيها مواقف وعبر، نأتي على بعضها في هذا المقام اليسير، (كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان ذلك يومها أبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي. قالت: حملتني على بعير بطيء؛ فتأخرت. فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديها عينها ويسكتها، -من ترفقه ﷺ فأبت إلا البكاء، أصرت إلا أن تبكي، والنبي ﷺ واساها وترفق بها. فغضب رسول الله ﷺ.

وهنا تنبيه أن الاستمرار في الجفاء والاستمرار في الغضب والزعل لا يُستحسن أبدًا، فغضب النبي ﷺ وتركها، فماذا صنعت؟ قدمت إلى عائشة قالت: يا عائشة يومي هذا لك، -وكان يوم صفية- يومي هذا لك من رسول الله ﷺ إن أنت أرضيتيه عني. فعمدت عائشة إلى خمارها وكانت صبغته بورس وزعفران فيه طيب، فنضحته بشيء من الماء حتى يظهر هذا الطيب ورائحته، ثم جاءت حتى قعدت عند رأس رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه أبو داود برقم (2146) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (1863) .

فقال لها النبي ﷺ: «ما لك؟ » -يعني: هذا الليلة ليست لك- قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فعرف النبي ﷺ الحديث الذي دار بينها وبين صفية، وتنازل صفية ليرضى ﷺ عنها؛ فرضي النبي ﷺ عن صفية أراد بعد ذلك أن يطيب أيضا خاطر صفية، ذهب إلى زينب، قال: «أن صفية قد أعيا بها بعيرها، فما عليك أن تعطيها بعيرك». أعطيها البعير الذي عندك، بدل من بعيرها البطيء، قالت زينب: أتعمد إلى بعيري فتعطيه ليهودية –هذا من غيرتها- فهجرها النبي ﷺ ثلاثة أشهر على هذه الكلمة وهذا من التأديب. وهجرها النبي ﷺ، ولم يقرب بيتها، حتى أن زينب عطلت نفسها كما جاء في الحديث، وعطلت بيتها حتى يئست من رسول الله ﷺ وعمدت إلى السرير الذي تنام عليه، فأسندته إلى مؤخر البيت أبعدته، - خلاص لم يأت رسول الله ﷺ وأيست من أن يأتيها رسول الله.

فبينما هي ذات يوم بعد ثلاثة أشهر إذ بوجس رسول الله ﷺ بحسه قد دخل البيت فوضع السرير موضعه. ومدة التأديب انتهت. قالت زينب: يا رسول الله ﷺ: قالت جاريتي فلانة قد طهرت من حيضتها اليوم، هي لك وهبتها للنبي ﷺ كونه جاء إليها)[1].

وهذا التعامل من رسول الله ﷺ في هذه الحادثة فيه من حسن ترفقه وحسن تودده مع غضبه ﷺ لما قد يكون فيه مخالفة، وهجره ﷺ وتأديبه لزوجته زينب –

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (9117).

رضي الله عنها وأرضاها-.

كان النبي ﷺ يمزح مع أزواجه – وهذا من حسن تودده وهذا سيرته ﷺ (جاء عن عائشة قالت: زارتنا سودة وهي بنت زمعة –رضي الله عنها وأرضاها- فجلس رسول الله ﷺ كما في رواية بيني وبينها إحدىٰ رجليه في حجري وإحدىٰ رجليه في حجر سودة. وفي رواية قالت: أتيت لرسول الله ﷺ بخزيرة طبختها. والخزيرة ما هي؟ قالوا: اللحم يُقطع صغارًا ويُصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق، يوضع عليه شيء من الدقيق، يُسمىٰ خزيرة.

فقالت لسودة، عائشة تقول لسودة، والنبي ﷺ بينهما، فقالت: كلِ. فأبت سودة، قالت لها: لتأكلي أو لألطخن وجهك. فأبت. فوضعت عائشة يدها في الخزيرة فطلت بها وجه سودة، فضحك النبي ﷺ، فوضع فخذه لها أي لسودة، حتىٰ تأخذ حقها، وقال: ألطخي وجهها. فلطختي وجهي، قالت: فضحك النبي ﷺ أيضًا.

فمر عمر بن الخطاب ﷺ فنادىٰ: يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي ﷺ أنه سيدخل؛ ربما كان هذا قبل فرض الحجاب، فقال لهما: «قوما فاغسلا وجهكما». تقول عائشة: فما زالت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إياه. )[1] أخرج الحديث أبو بكر الشافعي و النسائي وصححه الألباني ﷺ.

(1) رواه النسائي في الكبرى برقم (8868) وصححه الألباني في الصحيحو برقم (3131) .

الحديث فيه التزاور بين أمهات المؤمنين، فيه الألفة وفيه المحبة وفيه حسن النزاع والدعابة، في حضرة رسول الله ﷺ، فيه قرب الرجل من زوجته وحسن تعامله معها.

كان النبي ﷺ من عنايته بزوجاته أنه يرقي زوجاته حال المرض، جاء عن عائشة فيما رواه مسلم، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه المعوذات. ومن حسن تعامله ﷺمع زوجاته إنه إذا كان في سفر تأخر قليلًا حتى تتجهز له، و حتى لا يرى شيء يكرهه ﷺ.

(قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فلما رجعنا ذهبنا لندخل، فقال النبي ﷺ: «أمهلوا حتى ندخل ليلًا -أي عشاءً- حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة»)[1]. أي: المرأة التي غاب عنها زوجها. وهذا لاشك فيه إلماحة إلى عناية المرأة بنفسها، يشتكي بعض الأزواج، ويقول: أن زوجته بعد زواجه منها لم تعد لها عناية بنفسها، فقد هجرت الزينة، وكأنها فقط كانت تنتظر أن تتزوج حتى يسر الله لها ذلك، ثم تركت ما يحبذها لزوجها وما يقربها له.

فقال البعض: إن أفضل ما كنت أرى أوج ما تتزين لي في أوائل الزواج، ولاشك أن هذا خطأ، فالمرأة على أي حال في أي وقت وأي عمر، هي أنثى، فتلتمس في زوجها بصره، فلا يرى منها إلا ما يُحب، وتلتمس منه أنفه، فلا يشم

(1) رواه البخاري برقم (5079) و مسلم برقم (715) .

منها إلا ما يحب فهي متوددة متحببة له أي: لزوجها.

كذلك اعتناء الزوج بنفسه، النبي ﷺ ذكر لنا أمورًا للرجل و المرأة من ذلك سنن الفطرة، وعناية الإنسان بنفسه عند ابن أبي شيبة بسند جيد عن ابن عباس قال: أني أحب أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة، وذكر قول الله ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

وهذا لاشك فيما يتعلق بالرجل دون غلو وزيادة، فإن يعني: التوسع في هذا الباب ليس من صفات الرجال ومن عاداتهم.

ولذلك لو تأملنا تعامل زوجات النبي ﷺ معه وعنايتهن بذلك كان من هدي عائشة –رضي الله عنها- أنها هي التي تطيب النبي ﷺ، (سألها عروة بأي شيء طيبت رسول الله ﷺ؟ قالت: بأطيب الطيب)[1]. وهي التي تتولى تطييبه ﷺ.

تظن بعض النساء أن هذا الأمر لا أثر له، هذا غير صحيح؛ بل له أثر كبير إذا رأى الرجل زوجته أنها تعتني به حتى في تطييبه؛ فلا شك أن هذا له أثر ومن تعامل زوجاته ﷺ معه أنهن كن يكرمن الضيف، عناية وطبخ وغير ذلك، كل ذلك محبة في زوجها.

جاء في حديث لقيط ابن صبرة، قال: لما قدمنا على رسول الله ﷺ لم نصادفه في منزله وصادفنا عائشة فأمرت لنا بخزيرة فصنعت لنا، وأتينا بقناع أو طبق فيه

(1) رواه مسلم برقم (1189).

تمر، ثم جاء النبي ﷺ فقال: «هل أصبتم شيئًا أو آمر لكم بشيء؟» قال: قلنا: نعم يا رسول الله)[1]. والحديث عند أبي داود وصححه الألباني.

فعائشة من حسن محبتها لرسول الله ﷺ وتعاملها معه، أكرمت ضيوفه قبل أن يأتي رسول الله ﷺ، ومن ذلك مسامرة الزوجة لزوجها، وعدم التأفف وعدم الجفاء.

قالت عائشة مرة لرسول الله ﷺ وهي تحكي له أمور صارت في الجاهلية، قالت: اجتمعن إحدىٰ عشرة نسوة فتعاقدن وتعاهدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا – يعني في الجاهلية- وكان مما ذكرت والحديث عند الترمذي في الشمائل، وهو صحيح.

كانت مما ذكرت عائشة أنها أخبرته عن حكاية أبا زرع وأم زرع -وهي حكاية معلومة- وما اجتمعن فيه النساء في الجاهلية مما ذكرت في القصة أبي زرع أنها ذكرت حب أم زرع لأبي زرع وما حصل من الطلاق، وطلقها حينما رأىٰ امرأة أخرىٰ؛ فتزوجها.

لما انتهت من الحديث قال لها النبي ﷺ وهو يسمع منها والحديث طويل، ويأنس بذلك، قال لها النبي ﷺ: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع، غير أني لا

(1) رواه أبو داود برقم (142) و صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (130) .

أطلقكِ أبدًا»[1]. جاءت في رواية عند النسائي أنها قالت: بل أنت خير من أبي زرع أي لأم زرع.

يقول الحافظ ابن حجر ﷺقالت: فأجابت هي عن ذلك جواب مثلها في فضلها وعلمها، لفضل وعلم عائشة أجابت هذه الإجابة الجميلة، فالنبي ﷺ أكرمها بذلك القول، فأكرمته أيضًا بقولها: بل أنت خير من أبي زرع.

ومن كريم خُلُقِ المرأة أن تتركه أو أن تهجره أو أن تبتعد عنه، جاء عن عائشة أنها قالت: قالت لرسول الله ﷺ فيما ذكرنا من الحديث السابق أنه يعرف متى تكون راضية ومتى تكون غضبى؟ فقالت له: لأنها هجرت اسمه حال غضبها، قالت له: لا ورب إبراهيم. ما ذكرت اسمه. قال: يا رسول الله: أجل والله ما أهجر إلا اسمك، حتى حال غضبي ما اهجر إلا اسمك. حتى أنت لا أهجرك.

وجاء في حديثها أن النبي ﷺ دخل عليها فرأى في يديها فتخات من ورق، أي: من فضة. قال: «ما هذا يا عائشة؟». قالت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله. وفيه حث المرأة على التزين لزوجها وعنايتها بذلك. قال: «أتؤدين زكاتهن». – النبي ﷺ ما أهمل هذا الأمر؛ وهو أمر الشرع والواجب في هذه الحلي- قالت: لا، أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار[2]. وهذا فيه عنايته ﷺ بهذا الأمر.

---

(1) رواه البخاري برقم (5189) و مسلم برقم ( 2448) .

(2) رواه أبو داود برقم (1565) و صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (1398) .

والحديث عند أبي داود وصححه الألباني.

من حسن تعامل الزوجة مع زوجها الصبر على شظف العيش وهذا ما كانت تفعله أمهات المؤمنين، الله ﷻ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 28].

تقول عائشة: جاء النبي ﷺ إليها حين أمره الله أن يخبر أزواجه، فبدأ برسول الله ﷺ فقال: «إني ذاكرٌ لك أمرًا؛ فلا عليك ألا تستعجلي حتى تستأمرِ أبويكِ». لا تستعجلي في ذلك. وقالت: وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمران بفراقه. قالت: ثم قال: أن الله قال: وذكر الآية ﷺ. قالت: فقلت له: ففي أي شيء استأمر أبويّ، فإني أريد الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة[1]. ثم اقتدى بها بقية أمهات المؤمنين، فأجبن بإجابتها.

ومعنى هذا الأمر أننا نصبر على شظف العيش وعلى قلة الطعام ولا نفترق عن رسول الله ﷺ وهذا من الوفاء، فهكذا يكون الصبر، وليس من حسن التعامل، ولا من المودة ولا من الوفاء. مفارقة الرجل لضيق حاله أو قلة ما يملك، وليس أيضًا من الصواب التنغيص على الرجل بكثرة الطلبات التي لا يتحملها كاهله، ولا يستطيع على ذلك.

---

(1) رواه البخاري برقم ( 4508) و مسلم برقم (1475) .

ماذا كان بيت عائشة؟ حجرة من الطين، وكانت تصبر على شظف العيش مع رسول الله ﷺ، وتحكي عن حياتها اليومية، قالت: ما شبع آل محمد من خبز بُرّ مأدوم؛ حتى لحق بالله، ثلاثة أيام ما شبعوا)[1]. والحديث عن البخاري.

(جاء في رواية أن عروة سألها ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان؛ التمر و الماء)[2].

وفي وصف فراشه ﷺ (قالت: كان فراش النبي ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف فيؤثر على جنب رسول الله ﷺ)[3] أوصت عائشة وصية عظيمة للنساء؛ وبهذه الوصية نختم فقالت: يا معشر النساء –وهنا تكون المرأة الصالحة الوصية للزوجات، لا تسمعن من تنفر المرأة عن زوجها، أو من تسعى في إعطائها النصائح التي تدمر بيتها وتدمر أسرتها بسببها زوجه، فقالت عائشة: يا معشر النساء: لو تعلمنّ بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عند قدم زوجها بحرّ وجهها. وهو عند ابن أبي شيبة بسند جيد.

ما نستفيده من مجمل حياته ﷺ مع زوجاته حسن الترفق والتعامل ولطيف المعاملة من الجهتين من المرأة مع زوجها ومن الزوج مع زوجته.

---

(1) رواه البخاري برقم (5423) و مسلم برقم (2970) .

(2) رواه البخاري برقم (2567) و مسلم برقم (2972) .

(3) رواه مسلم برقم (2082) .

كذلك الصبر وحسن التآلف والمداعبة، وكذلك تقديم أمر الله ﷻ وهذا لا تقوم عليه الأسرة إذا كان فيه تفريط لأمر الله أو أمر رسوله ﷺ.

لا يكون رضا الزوجة أبدًا بما يخالف شرع الله ولا بما يخالف دين الله ولا يكون أيضًا رضا من رضا الزوج، بما يخالف الشرع والدين؛ بل هو سبب للتعاسة في الأسرة.

المخالفة للأمر الإلهي أو للأمر النبوي هو تدمير للأسر، كيف تكون أسرة سعيدة وهي في انحراف عن شرع الله وعن دينه، كذلك التأني في علاج المشكلات وعدم التعنت في ذلك؛ ومنها عناية الزوجات وحرصهن على راحته ﷺ كما مرّ معنا في طعامه وفي لبسه وطيبه.

السعادة معاشر الأحبة هي في الهدي النبوي، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 21]، فالخير كل الخير في متابعته ﷺ والشر كل الشر في مخالفة شرعه ودينه ﷺ.

بهذا القدر نكتفي في أمرنا الأول، ونُكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

سبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

للاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة شبكة بينونة للعلوم الشرعية على الرابط وجزاكم الله خيرًا.

سلسلة تفريغات شبكة بينونة
١
حياتنا الأسرية
الواقع والمأمول
البيت النبوي
الشيخ د. محمد بن غالب العمري
قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@Baynoonanet
www.baynoona.net